الأبعاد التربوية المستفادة من تنوع القراءات القرآنية – دراسة تحليلية–

د. رأفت محمد علي الجديبي – جامعة الملك عبد العزيز – جدة

مستخلص:

تهدف الدراسة إلى تناول الأبعاد التربوية من القراءات القرآنية، وذلك من حيث توضيح البعد الإيماني العقدي للتربية من القراءات، والتعرف على البعد العلمي والعملي للتربية من القراءات، فضلاً عن توضيح البعد الأخلاقي السلوكي للتربية من القراءات، وكذلك التعرف على الثمرات التربوية من القراءات القرآنية، وذلك بالاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، حيث يتناول دراسة أحداث وظواهر وممارسات قائمة من خلال القراءات القرآنية وتكون متاحة للدراسة والقياس، وذلك من التحليل الكيفي للآيات القرآنية، وتصنيف محتواها بحسب أبعاد الدراسة، ثم استنباط الأبعاد التربوية المتعلقة بكل بعد، كما اعتمدت الدراسة على المنهج الأصولي الاستنباطي لدراسة جوانب العمل الإسلامي دون الخروج عن الثوابت الإسلامية بفهم كافة معاني القرآن الكريم، وتوصلت الدراسة لعدة نتائج منها:

- القراءات القرآنية مليئة بالفوائد والدرر في مختلف المجالات، وإنما تريد من يخرجها من مكامنها وينشرها بين العامة، لاسيما في المجالات التربوية.
- هناك العديد من الثمرات التربوية المهمة اقتصرت منها في هذه الدراسة على ثلاث ثمرات فقط، وهي (التثبت قبل اتخاذ المواقف) و(الحث على إطعام المساكين) و(ذم البخل والجشع في جمع المال).

الكلمات المفتاحية:

القرآن الكريم – الأبعاد التربوية – القراءات القرآنية – التربية الإسلامية.

Abstract:

A study that aims to address the educational dimensions of the Qur'anic readings, in terms of clarifying the faith-creed dimension of education from the readings, and identifying the scientific and practical dimension of education from the readings, as well as clarifying the ethical and behavioral dimension of education from the readings, as well as identifying the educational fruits of the Qur'anic readings, by relying on On the descriptive-analytical approach, which deals with the study of existing events, phenomena and practices through Quranic readings that are available for study and measurement, through qualitative analysis of Quranic verses and classifying their content according to the dimensions of the study and then deducing the educational dimensions related to each dimension. The study also relied on the deductive fundamentalist approach to study aspects of work. Islam without deviating from the Islamic constants by understanding all the meanings of the Noble Qur'an, and the study reached several results, including:

- Quranic readings are full of benefits and pearls in various fields, but you want someone to get them out of their hiding places and spread them among the public, especially in the educational fields.
- There are many important educational fruits, of which I have limited in this brief message to only three fruits, which are (verification before taking positions), (urge to feed the needy) and (disparaging miserliness and greed in collecting money).

key words:

The Noble Qur'an - educational dimensions - Qur'anic readings - Islamic education.

الأبعاد التربوية المستفادة من تنوع القراءات القرآنية – دراسة تحليلية–

د. رأفت محمد علي الجديبي – جامعة الملك عبد العزيز – جدة

المقدمة:

كرم الله جل في علاه هذه الأمة المباركة بسفر خالد لا تنقضي عجائبه وفوائده، ولا تفنى دُرره وفرائده، وهو معين لا ينضب، وجديد لا يخْلَق، وكلما أعطى المرء من وقته لتعلم القرآن وتدبر معانيه كلما تجلّت له مفاهيم قرآنية جديدة، ومعانٍ راقية فريدة، ولعظمة القرآن الكريم وتميزه عن غيره من الكتب السماوية قبلَه أنزله الله على سبعة أحرف، بأي حرف قرأ الإنسان منها يكون مصيباً.

إن المجتمعات على اختلاف ثقافاتها تهتم اهتماماً بالغًا بالتربية الخلقية، لقناعتها أن سر بقاءها وتطويرها لذاتها لا يتحقق إلا من خلالها، وكلما ارتقى المجتمع في سُلم الحضارة ازدادت حاجته إلى التربية، فهي ضرورة فردية واجتماعية، لا يستطيع الفرد والمجتمع الاستغناء عنها، والتربية الخلقية هي أساس تماسك المجتمع وترابطه، وبدونها تعم الفوضى، وتتقطع الأواصر والروابط، وتغيب العدالة، وفي النهاية يؤول المجتمع إلى المشكلات والحروب والدمار (الزبيدي، ٢٠١٩، ص٥٣).

وكل الأحرف السبعة التي أنزل بها القرآن الكريم تعتبر صواباً وحقاً وعدلاً، ويتعين العمل بمقتضاها، ويؤجر المرء على تلاوتها، إلا أن الناس قد خاضوا بمذاهب شتى لكي يدركوا كنه هذه الأحرف السبعة ويبلغوا حصرها وضبطها؛ فكانت المؤلفات العديدة في القراءات السبع، والثمان، والعشر، والأربع عشر، وكلها تروم إدراك الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم.

ولهذا التعدد في القراءات الواردة في القرآن الكريم، وما لها من أثر في التفسير وبيان المعني، كما يقول ابن عاشور "إن ثبوت أحد اللفظين في قراءة قد يبين المراد من نظيره في القراءات الأخرى، أو يثير معني غيره، ولأن اختلاف القراءات في ألفاظ

القرآن يكثر المعاني في الآية الواحدة، والمعنى إما أن يكون واضحاً وجلياً، أو يكون له علاقة خفية غير واضحة، يمكن التوصل إليها بمزيد من التأمل في ضوء فهم معاني الألفاظ وسياقها القرآني لتحديد دلالتها بدقة" (الزبيدي، ٢٠١٩، ص٥٣). إلا أن علماء القراءات وضعوا ثلاثة ضوابط رئيسة للقراءات المقبولة من غيرها، فما انطبقت عليه هذه الشروط كانت مقبولة، وتعد قرآناً يتعبد بتلاوته. وما لم تنطبق عليه هذه الشروط كانت شاذة مردودة، لا يتعبد بتلاوتها، ولا تعتبر قرآناً، وإن كان يستفاد منها في نطاق ضيق.

وهذه الشروط جمعها الإمام ابن الجزري –رحمه الله– بقوله:

"فَكُلُّ مَا وَافَقَ وَجْهَ نَحْوِ ...وَكَانَ لِلرَّسْمِ احْتِمَالاً يَحْوِي

وَصَحَّ إِسْناداً هُوَ الْقُرآنُ ...فَهَذِهِ الثَّلاَثَةُ الأَرْكَانُ" (الزعبي، ١٩٩٤، البيت ١٤-١٥).

والقراءات العشر هي من حيث الجملة تنطبق عليها هذه الشروط؛ وتأسيسا على هذا جاءت هذه الدراسة بعنوان "الأبعاد التربوية من القراءات القرآنية" ليقف الباحث من خلالها على الاستنباط والتدليل على الأبعاد التربوية، ليقف على المعاني الجلية والخفية في ضوء تعدد القراءات الواردة في الآيات القرآنية، ومدى استفادة المجتمع عموماً والمجتمع التربوي خاصةً من هذه الأبعاد.

مشكلة الدراسة:

تحاول الدراسة أن تجيب عن السؤال الرئيس الآتي:

ما الأبعاد التربوية من القراءات القرآنية؟

ويتفرع من هذا السؤال الرئيس أسئلة فرعية كما يلي:

١- ما البعد العقدي للتربية من القراءات؟

٢- ما البعد العلمي والعملي للتربية من القراءات؟

٣- ما البعد الأخلاقي السلوكي للتربية من القراءات؟

٤- ما الثمرات التربوية من القراءات القرآنية؟

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى:

١- توضيح البعد الإيماني العقدي للتربية من القراءات؟

٢- التعرف على البعد العلمي والعملي للتربية من القراءات؟

٣- توضيح البعد الأخلاقي السلوكي للتربية من القراءات؟

٤- التعرف على الثمرات التربوية من القراءات القرآنية؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذا البحث من خلال الآتي:

١- أنه تجديد في بابه، بمعنى أنه لم يكتب أحد حسب علم الباحث في "الأبعاد التربوية من خلال القراءات القرآنية".

٢-القراءات القرآنية ثرية بالعديد من الفوائد والأحكام في مختلف المجالات، فينبغي تسليط الأضواء عليها؛ للاستفادة منها في الحياة العلمية والعملية.

٣-أزمة الأمة اليوم هي أزمة تربية وتعليم، فلا بد أن تبذل الأمة قصارى جهدها لاستنباط كل ما يرتقي بها في هذا الباب؛ لتنشئة جيل إسلامي متصف بالأصالة والمعاصرة.

٥- أثر فهم وإدراك الأبعاد التربوية من القراءات القرآنية ودور ذلك وانعكاسه على الأمة فهماً واعتقاداً وسلوكاً.

٦- استفادة الدعاة السائرون على طريق الإيمان في نشر الأبعاد المستقاة من الأبعاد الأخلاقية والسلوكية للتربية من القراءات.

حدود الدراسة ومجالها:

اقتصرت هذه الدراسة على الأبعاد التربوية المتضمنة من تنوِع القراءات القرآنية ، والمتمثلة في الأبعاد العقدية، والأبعاد العملية العلمية، والأبعاد الأخلاقية السلوكية للتربية.

منهج الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، حيث يتناول دراسة أحداث وظواهر وممارسات قائمة من خلال القراءات القرآنية وتكون متاحة للدراسة والقياس، وذلك من التحليل الكيفي للآيات القرآنية وتصنيف محتواها بحسب أبعاد الدراسة ثم استنباط الأبعاد التربوية المتعلقة بكل بعد، كما اعتمدت الدراسة على المنهج الأصولي الاستنباطي لدراسة جوانب الأبعاد التربوية دون الخروج عن الثوابت الإسلامية بفهم كافة معاني القرآن الكريم.

مصطلحات الدراسة:

هناك العديد من المصطلحات التي سندرج عليها في ثنايا هذا البحث، ويمكن توضيحها على النحو التالي:

- (الأبعاد التربوية)

هي تلك المقاصد الرئيسة العامة التي يؤول إليها الشأن التربوي، والتي تشكلت من مجموعة من الجزئيات التفصيلية؛ بغض النظر عن اختلاف الشرائح المستهدفة، سواء أكانوا ذكورا أم إناثاً، وصغاراً أم كباراً، أم غيرهم؛ وبغض النظر عن اختلاف تعدد المواقف والأحوال التي وردت فيها هذه الجزئيات التربوية التفصيلية، سواء أكانت في الحضر أم السفر، وفي السلم أم الحرب، أم غيرها من الأحوال والمواضع.

وتعرف التربية بأنها عملية نمو واكتساب للخبرة وتغيير مرغوب فيه في سلوك الفرد والجماعة عن طريق تفاعل الفرد مع الكائنات والأشياء المحيطة به ومع البيئة العامة التى يعيش فيها (الزبيدي، ٢٠١٩، ص٥٦).

- (القراءات القرآنية)

تعرف القراءات لغتاً كما عرفها ابن فارس "بأن القاف والراء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على جمع واجتماع، من ذلك القرية سميت قرية لاجتماع الناس فيها، ويقولون قريت الماء في المقراة: جمعته، وذلك الماء المجموع قري، وإذا همز هذا الباب كان والأول سوا، يقولون ما قرأت هذه الناقة سلى كأنه يراد أنها ما حملت قط،

قالوا ومنه القرآن كأنه سمي بذلك لجمعه ما فيه من لأحكام والقصص وغير ذلك" (ابن فارس، د.ت، ٧٨/٥).

إذا أطلقتُ (القراءات القرآنية) أو (القراءات) في هذا البحث: فالمقصود بها القراءات العشر المتواترة أو بعضها، وذلك من طريقي (الشاطبية) و(الدرة) فحسب.

وتعرف اصطلاحاً بأنها علم يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى، واختلافهم في الحذف والإثبات، والتحريك والتسكين، والفصل والوصل، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره، من حيث السماع، أو يقال علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزوا لناقله (الزبيدي، ٢٠١٩، ص٥٥).

- (القراءات الشاذة)

هي تلك القراءات التي فقدت شرطاً أو أكثر من شروط القراءة المعتبرة، وقد ذكرت آنفاً الشروط الثلاثة للقراءات المتواترة.

- الأبعاد التربوية:

تعرف الأبعاد بأنها هي الجوانب التى تبرز أطراف النظرية التربوية الإسلامية ومعالمها المهمة التى بها تتميز عن غيرها (يالجن، ١٤١١هـ، ص٢٧).

أما الأبعاد التربوية فتعرف بأنها الركائز التى يقوم عليها الحوار، وهي المبادئ الأخلاقية وخصائص الحوار ومقوماته وأبرز الملامح التربوية لمنهج الحوار، كما جاءت في القرآن الكريم (اسماعيل، ٢٠١٤، ص٣٢٧).

الدراسات السابقة:

تم الاطلاع على العديد من الدراسات والبحوث التى تناولت موضوع الدراسة، ويعرضها الباحث من الأقدم إلى الأحدث وفقاً للتسلسل التاريخي وهي كالآتي:

١- دراسة (محمود، ٢٠١٣).

تهدف الدراسة إلى استنباط المضامين التربوية في سورة يوسف في مجالات الأهداف والأساليب التربوية وعمليات العلم، واتبعت الدراسة المنهج الاستنباطي، وتمثلت الاجراءات بدراسة سورة يوسف كاملة ثم تحديد مجموعة من الآيات بلغ عددها (١٦)

آية بطريقة انتقائية، وتبويب هذه المجموعة من الآيات إلى ثلاثة أبواب تماشيا مع أهداف الدراسة، والرجوع إلى كتب التفسير المعتمدة، وكتب الأدب التربوي لاستنباط المضامين التربوية منها، وخرجت الدراسة بعدة نتائج منها أن سورة يوسف تزخر بالأهداف التربوية في مجالاتها المعروفة الوجدانية والمعرفية والنفسية الحركية، كما أن السورة الكريمة زاخرة بالأساليب التربوية كالقصة والحوار والقدوة والتعلم وهي زاخرة كذلك بالعمليات كالعمل والملاحظة واستخدام الأرقام. ويتفق البحث الحالي مع هذه الدراسة في أن المجال واحد وهو استنباط الدلالات التربوية من سورة القرآن الكريم، وتختلف عن البحث الحالي كون البحث الحالي يستعرض الأبعاد التربوية في القراءات القرآنية والتركيز على آثارها التربوية، بخلاف دراسة (محمود، ٢٠١٣) التي تناولت في موضوعها سورة يوسف عليه السلام.

٢- دراسة (إسماعيل، ٢٠١٤):

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة الإطار الفكري والمفاهيمي للأبعاد التربوية المتضمنة في الحوار القرآني، من حيث مفهوم الحوار، وأهم المبادئ الأخلاقية المتضمنة في الحوار القرآني وخصائص الحوار، ومجالاته ومقوماته وأبرز الملامح التربوية لمنهج الحوار من المنظور القرآني، فضلاً عن الكشف عن العلاقة بين بعض المتغيرات الشخصية والأكاديمية والالتزام بالأبعاد التربوية المتضمنة في الحوار القرآني في حوارات الطلاب بكليات التربية، مع وضع تصور مقترح لتفعيل الأبعاد التربوية المتضمنة في الحوار القرآني، ويتفق البحث الحالي مع دراسة (إسماعيل، ٢٠١٤) في استنباط الفوائد والثمرات التربوية من موضوعاتِ القرآن الكريم، وتختلف عن البحث الحالي كون البحث الحالي يستعرض الأبعاد التربوية في القراءات القرآنية والتركيز على آثارها التربوية .

٣- دراسة (الزبيدي، ٢٠١٩):

هدفت الدراسة إلى إبراز معان جديدة لأثر تنوع القراءات القرآنية في سياق آيات التربية الأخلاقية في سورة الحجرات، وقد سلك الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي، وقد

خلصت الدراسة إلى عدة نتائج منها: أن الاختلاف في القراءات القرآنية هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد وأن كل قراءة منها تبين وتضيف معني جديدا، وكما اظهر اختلاف القراءات جمال التربية الخلقية من خلال المعاني الجديدة التى أضافتها في كل مقطع من مقاطع السورة الكريمة، والقت الدراسة الضوء على عظمة القرآن الكريم واعجازه المنبثق من تنوع وتعدد قراءاته. ويتفق البحث الحالي مع دراسة (الزبيدي، ٢٠١٩) في عرض الدلائل التربوية للقراءات، ويختلف عنها كونه يتناول أربعة أبعاد بينما الدراسة السابقة عالجت البعد الأخلاقي في سورة الحجرات.

٤- دراسة (باجابر، ٢٠٢٠):

هدفت الدراسة إلى إبراز الأبعاد التربوية المستنبطة من سورة قريش، واقتراح بعض التطبيقات التربوية في الواقع المعاصر، وأسفرت الدراسة عن العديد من النتائج والتوصيات منها: البعد الإنساني وفيه تربية الإنسان على العقيدة الصحيحة، وعلى أحقية الله تعالى بالعبادة، فالروح لا تسعد إلا باتصالها بخالقها، وفي هذا البعد أيضاً بيان لموجب عبادة الله تعالى وحده، وحقه في ذلك على عباده جميعاً، وليس خاصا بقريش، وهذا الحق قرره القرآن بأساليب عديدة نستقي منها في مناهجنا التربوية في المدارس وفي تربيتنا لأبنائنا، وأهمها أسلب التعليل، ويهتم الإسلام عند تربيته للإنسان بالجسد والروح بشكل متوازن ويربط تقوية الجسم بالطعام وعبادة الله تعالى وطاعته فهي تربية شاملة ومتوازنة. ويتفق البحث الحالي مع دراسة (باجابر، ٢٠٢٠) في أن المجال واحد وهو استنباط الدلالات التربوية من سورة القرآن الكريم، وتختلف عن البحث الحالي كون البحث الحالي يستعرض الأبعاد التربوية في القراءات القرآنية والتركيز على آثارها التربوية، بخلاف الدراسة السابقة التي تناولت في موضوعها سورة قريش.

المحور الأول: البعد العقدي للتربية من القراءات

تعتبر العقائد والأيدلوجيات عموماً هي المحرك الرئيس والأساس لشتى صور الحراك الثقافي والتربوي والتعليمي في المجتمعات بمختلف مسمياتها، وهي الهدف الأسمى والغاية المثلى التي تنشدها المدارس التربوية المختلفة في العالم بأسره. ولذا

أولت الشريعة الإسلامية العقيدة أهمية بالغة، ومنزلة سامقة؛ فربت عليها الصغير؛ وهذبت بها الكبير؛ فأفنيت من أجلها المهج، وبُذلت في سبيلها النفائس. وقد أورد لنا القرآن الكريم عدة نماذج لأنبياء وصالحين يربون أبناءهم وأقوامهم على العقيدة الإسلامية من صغرهم، ويحضونهم على الإيمان بها في كبرهم، ويوصونهم بها عند مماتهم وهرمهم. وفيه من العلوم ما ينهل به الإنسان ومالم يكتشفه حتى اليوم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ فصلت: ٥٣.

وكل سور القرآن الكريم تحمل من المعاني الجليلة والجوانب التربوية العميقة مما يجعلها مصدراً لمنهج الحياة القويمة المستقرة والآمنة (باجابر، ٢٠٢٠، ص٧٢٤). فمنهم أبونا إبراهيم عليه السلام قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ البقرة:١٣٢. وكذا؛ سطر لنا القرآن الكريم المحاورة التربوية الهامة التي جرت بين أبينا إبراهيم عليه السلام وبين ابنه إسماعيل عليه السلام عندما أراد ذبحه، وكيف ربى الأب الابن على الامتثال والتسليم، رغم فداحة الخطب وعِظَم المراد! كما سطر لنا القرآن الكريم العديد من النصائح التربوية العقدية الهامة التي ألقاها لقمان على ابنه في آيات عديدة، والتي ابتدأها الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ لقمان: ١٣

وكذا؛ حفظت لنا السنة العديد من النصوص التربوية التي نشأ عليها الصحابة الكرام –رضوان الله عليهم– كقوله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن أبي سلمة –رضي الله عنه–: "يا غلام! سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك" (البخاري، ١٤٢٨هـ، ٦٨/٧)، وغير هذا كثير جداً؛ لا تخطئه عينٌ لها أدنى نظر في أسفار الشريعة.

ولما كان القرآن الكريم غني بهذه الأمور –أي: بالتربية العقدية للأجيال ولكافة المخاطبين– تحتم أن نورد بعض صور التربية هذه، معتمدين في ذلك على القراءات القرآنية المتواترة؛ لنظهر من خلالها عظمة هذا الكتاب الخاتم، وتعدد الفرائد والمعاني التي تقتبس من نوره الوضاء.

أولاً – المراد بالبعد العقدي للتربية لغتًا واصطلاحًا:

١– تعريف البعد العقدي للتربية لغة:

- "البُعْد" مصدر (بعُدَ) فهو (بعيد) أي: متباعد، وهو ضد القرب، وفلان بعيد أي: ليس بقريب، و(استبعد) أي: (تباعد) و (استبعده) عده بعيداً، قال الشاعر:
صبا مَا صبا حَتّى علا الشي برَأسه..فَلَمّا علاهُ قَالَ للباطل ابعد (الأزدي، ١٩٨٧، ٢٩٨/١) (الرازي، ١٩٩٩، ص٣٧).
- "العقدي" نسبة إلى العقيدة، وهي من (عقَدَ)، وهو في اللغة بمعنى: الشد والربط واللزوم والإبرام، وكل منهاحسب السياق الذي ترد فيه (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ٢٩٨/٣).
- "التربية" مصدر من "ربا الشيء يربو ربوا ورباء: زاد ونما، وأربيته: نميته، وفي التنزيل العزيز: {وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ} [البقرة: ٢٧٦]، ومنه أخذ الربا الحرام؛ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ٣٩ ﴾ الروم: ٣٩
- قال الله تعالى: {وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ} [الروم: ٣٩] ... والأصل فيه الزيادة، من ربا المال إذا زاد وارتفع، والاسم الربا مقصور" (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ٣٠٤/١٤).

٢- تعريف البعد العقدي اصطلاحاً:

بعد أن بينا التعريف اللغوي لـــ(البعد العقدي) يمكننا من خلاله استخلاص تعريف اصطلاحي يناسب المقام الذي نحن بصدده؛ إذ إن الجذر والأصل اللغوي لكل كلمة يسهم بقوة في تبيان معنى تصريفاتها الأخرى، وكافة الاصطلاحات والاستخدامات الحادثة.

إذاً: فيمكننا أن نعرف (البعد العقدي للتربية) بقولنا:

"هو المقصد الشرعي الرئيس المراد ترسيخه وتنميته شيئاً فشيئاً في أذها المتربين والمتعلمين"

ويتضح مما سبق قولنا أن: "المقصد الشرعي الرئيس" أي: أنه الغاية المشروعة المثلى التي نبغي الوصول إليها، ونريد تثبيتها في أذها الناشئة وسائر الفئات المستهدفة بالعملية التربوية والتعليمية.

وقولنا: "المراد ترسيخه وتنميته" أي: المعاني والقيم التي نريدتثبيتها وغرسها في أفئدة الفئات المستهدفة بالعملية التربوية والتعليمية.

وقولنا: "شئياً فشيئاً" أي: أن العملية التربوية إنما تأتي بالتدريج، ولا يمكن أن تكون دفعة واحدة أبداً.

وقولنا: "في أذهان المتربين والمتعلمين" أي: يراد لهذه المعاني والمبادئ أن تكون ثابتة في الأذهان والعقول، لا أن تكون كالخواطر التي سرعان ما تزول، سواء أكانت في المحاضن التربوية أم التعليمية.

ثانياً – القراءات الدالة على البعد العقدي للتربية

هناك الكثير من الآيات القرآنية بالقراءات المتواترة التيتدل بوضوح على ضرورة أن تكون التربية مرتكزة على البعد العقدي؛ لكي تؤتي ثمارها المرجوة، كما أنها تحذر من ضد ذلك، أي: التربية على غير العقيدة الصحيحة؛ لكون ذلك يترتب عليه الفساد الكبير في الأرض، ويكون سبباً لنزول العقوبات والنقم.

ونستعرض بعض هذه الآيات بقراءاتها، ونردفها بتوضيحها:

الآية الأولى:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢ ﴾ الصافات: ١٠٢

أ – أهم القراءات الواردة في الآية:

قرأ "حمزة والكسائي وخلف: {مَاذَا تَرَى} بضم التاء، وكسر الراء كسرة خالصة، يجعلونه فعلاً رباعياً، والباقون وهم (نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وأبو جعفر، ويعقوب) بفتحها، يجعلونه فعلاً ثلاثياً، وأبو عمرو يميل فتحة الراء، وورش بين بين على أصلهما، والباقون بإخلاص فتحها" (ابن الجزري، ٢٠٠٠، ص٥٢٩).

ب – توضيح موطن الدلالة:

نستفيد من قراءة حمزة والكسائي وخلف بعداً تربويا عقدياً مهماً، وهي تربية الأبناء على التسليم والانقياد الكامل لله ولرسوله ولشريعته، ولو كان ثمن ذلك بذل الحياة.

فعلى القراءة الأولى –بضم التاء وكسر الراء كسرة خالصة–يكون المعنى:

ماذا تريني من صبرك يا إسماعيل؟ فهذا أمر من الله سبحانه وتعالى وليس أمراً مني؛ فليس لي ولك سوى التسليم والانقياد لأمره وحكمه سبحانه وتعالى.

كما أن القراءة الأخرى وهي قراءة الجمهور–بفتح التاء والراء– تعني:

ماذا تشير؟ وما الذي عندك من الرأي يا إسماعيل فيما أخبرتك به؟ (ابن زنجلة، ١٩٨٢، ص٦٠٩)

هذا ويدري أبونا إبراهيم – عليه السلام– أن الله قد استجاب دعوته بأن رزقه ولداً صالحاً؛ ولا يمكن أن يكون هذا الولد إلامسلماً لأمر الله منقاداً لشريعته.

"قال أبو زكريا: وأرى –والله أعلم– أنه لم يستشره في أمر الله، ولكنه قال: فانظر ما تريني من صبر كأوجزعك، فقال: {سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللّهُ مِنَ الصّابِرِينَ} وقد يكون

أن يُطلِع ابنه على ما أمر به لينظر ما رأيه وهو ماض على ما أمر به" (الفراء، د.ت. ٣٩٠/٢).

وكلا القراءتين يحملان بعداً تربوياً عقدياً تحلى به إسماعيل عليه السلام، وكذلك والده أبونا إبراهيم عليه السلام؛ فإن الولد عزيز على النفس ومحبته قضية فطرية، ومع ذلك كله؛ فقد كان الوالد مصمماً على تنفيذ التوجيه الرباني، والولد منقاداً مستسلماً لأمر ربه؛ لأنه كان صالحاً حليماً، ذا تربية نبوية راشدة.

الآية الثانية:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ الأنبياء: ٨٧

أ – أهم القراءات الواردة في الآية:

قرأ يعقوب (يُقدَر عليه) بالياء مضمومة وفتح الدال، على البناء للمجهول.

وقرأها الجمهور بالنون، كقراءة حفص، بفتح النون مع كسر الدال (ابن الجزري، ٢٠٠٠، ص٤٦٦).

ب – توضيح موطن الدلالة:

ربّى الله سبحانه وتعالى نبيه يونس عليه السلام بالابتلاء؛ لما أن غاضبه قومه، فكان على الكمال من إحسان الظن بربه سبحانه وتعالى، والتوكل عليه، وتفويض الأمر إليه، والاعتراف بالخطأ والتقصير، وهذا مقصد رئيس من مقاصد التربية.

فعلى القراءة الأولى وهي قراءة يعقوب الحضرمي بالبناء للمجهول (يُقدَر) يكون المعنى: فظن يونس –عليه السلام– أن لن يقدر عليه كفار قومه ولن يصلوا إليه بمكروه، فيكون (كفار قومه) هو نائب الفاعل المحذوف.

وعلى قراءة الجمهور –بالنون المفتوحة وكسر الدال– يكون المعنى:

فظن أن لن نضيق عليه، كما في قوله تعالى: {اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ} [الرعد: ٢٦]، وكما قال سبحانه: {وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ} [الطلاق: ٧]. وهذا قول كثير من العلماء.

وقيل: "هو من القدر الذي هو القضاء والحكم، أي فظن أن لن نقضي عليه بالعقوبة، قاله قتادة ومجاهد والفراء، مأخوذ من القدر وهو الحكم، دون القدرة والاستطاعة"، وقال بعضهم: "هو من التقدير ليس من القدرة، يقال منه: قدر الله لك الخير يقدره قدرا، بمعنى قدر الله لك الخير. وأنشد ثعلب:

فليست عشيات اللوى برواجع ... لنا أبدا ما أورق السلم النضر

ولا عائد ذاك الزمان الذي مضى ... تباركت ما تقدر يقع ولك الشكر

يعني ما تقدره وتقضي به يقع، وعلى هذين التأويلين العلماء".

هذا ولا يجوز أن نقول: إن "معناه استزله إبليس ووقع في ظنه إمكان ألا يقدر الله عليه بمعاقبته! وهذا قول مردود مرغوب عنه؛ لأنه كفر" (القرطبي،١٩٦٤، ٣٣١/١١).

إذاً: فيونس–عليه السلام– لما غاضب قومه وقع في حدسه –على قراءة يعقوب– أنه لن يدركه كفار قومه ولن يقدروا عليه، وعلى قراءة الجمهور ظن أن لن يضيق الله عليه أمره، ولن يعاجله بعقوبة جراء يأسه من قومه.

والبعد التربوي العقدي ظاهر هنا في كلا القراءتين؛ فيونس –عليه السلام– كان ذا تربية حسنة كسائر الأنبياء عليهم السلام، فأحسن الظن بربه، وأوكل أمره إليه، وانطرح ببابه معترفاً بتقصيره.

الآية الثالثة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ الأنبياء: ٨

أ – أهم القراءات الواردة في الآية:

قرأ ابن عامر وحفص وأبو جعفر: (لتحصنكم) بالتاء.

وقرأ أبو بكر–شعبة– ورويس بالنون (لنحصنكم).

وقرأ الباقون وهم (نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وروح، وخلف العاشر) بالياء (ليحصنكم) (ابن الجزري، ٢٠٠٠، ص٤٦٦).

ب – توضح موطن الدلالة:

هناك بعد تربوي عقدي غاية في الأهمية، نستفيده من القراءة بالنون –وهي قراءة شعبة ورويس– وكذا من القراءة بالياء، وهي قراءة الجمهور، وهو أن الأسباب لا يمكن البتة أن تنفع بذاتها منفردة.

فعلى قراءة النون نسب الله سبحانه وتعالى الإحصان إلى ذاته الشريفة، فالدروع وصنوف اللبوس لا تحصن ولا تغني بذاتها، وكذا كافة الأسباب البشرية لا تغني بذاتها، وإنما بما جعله سبحانه فيها من أسباب النفع والفائدة.

وكذا على قراءة الجمهور بالياء، فالفاعل فيها يعود علىالذات الشريفة، وفيه التفات من الخطاب إلى الغيبة، وفيها المعنى الآنف المتقدم في القراءة السابقة؛ إذ إن الله سبحانه وتعالى جعل الإحصان والفائدة المرجوة من اللباس منزوعة؛ إلا بتقدير وتيسر من الله سبحانه وتعالى (ابن زنجلة، ١٩٨٢، ص٤٦٩).

وهذا بعدٌ عقديٌ لا تخفى أهميته وقيمته، لا سيما في عصرنا الحاضر، حيث طغت المادة، وتعلق الناس بالأسباب، ونسوا أو تناسوا المسبب جل في علاه.

وعقد في نفوسهم الإيمان وأنه خالق كل شيء قال تعالى: "وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ". [الزمر: ٣٨]، وفي الآية يقرر الله أنه لا إله إلا هو، وأن قريشاً مؤمنون بالله ربا ولكن دخل عليهم الشرك مع أنهم معترفون بأنه المستقل بخلق السماوات والأرض، والشمس والقمر، وتسخير الليل والنهار، وأنه الخالق الرازق لعباده،

فإذا كان الأمر كذلك فلم يعبد غيره ولم يتوكل على غيره؟ فكما أنه الواحد في ملكه فليكن الواحد في عبادته، وكثيرا ما يقرر تعالى مقام الإلهية بالاعتراف بتوحيد الربوبية، وقد كان المشركون يعترفون بذلك، ويؤكد ذلك أيضا من إيمانهم بالله تعالى وأنه رب البيت وحاميه ما جاء في كتب السير وتاريخ العرب (النجدي، ١٩٩٦، ٤٢٦/٣).

فأراد الله سبحانه وتعالى تربية الخلق على عدم الركون على الأسباب أياً كانت؛ فالنافع والضار حقيقة هو الله سبحانه وتعالى، وليست الأسباب جميعها سوى قوالب مجردة يجري من خلاله قضاء الله وقدره.

المحور الثاني: البعد العلمي والعملي للتربية من القراءات

لا قيمة لأي علوم ومعارف يستفيدها المرء في حياته إن لم تنعكس إيجاباً على الواقع المعاش، وإلا كانت سفسطة وتضييعاً للأعمار، ومن ذلك العلوم التربوية؛ فلا يراد منها البتة أن تكون مجرد قواعد نظرية، وقوالب مفرغة من محتواها العملي، وإلا كان الاشتغال بها حينئذ ضرباً من تضييع الأوقات وكفى بها مصيبة!

ولا يعني ذلك أبداً إلغاء الجانب النظري، بل المراد "التوازن في النظرية والتطبيق، والتوازن في تنظيم المعرفة الإنسانية التي تفيد الفرد والمجتمع.

وتعنى التربية الإسلامية بالتطبيق العملي الذي يعود بالفائدة على البشر، ويلوم الله جل وعلا الذين يقولون ما لا يفعلون بقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ} [الصف: ٢،٣]؛ لتوازن في النظرية والتطبيق، والتوازن في تنظيم المعرفة الإنسانية التي تفيد الفرد والمجتمع.

والتربية الإسلامية حريصة أشد الحرص على إيجاد التوازن بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة، قال تعالى: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا} [القصص: ٧٧].

وتوازن التربية الإسلامية بين تنمية روحانية الفرد وتلبية حاجاته المادية والاجتماعية، فهي مزيج متوازن بين الدنيا والآخرة، بين الفرد والمجتمع، وبين عالم الواقع وعالم المثل" (السيد، د.ت. ص ص ٢٣-٢٤).

ويتناول هذا العنصر إبراز البعد العلمي والعملي للتربية الإسلامية من خلال القراءات القرآنية المتواترة؛ لتبيان أهمية هذا البعد، وتضافر الأدلة القرآنية عليه.

أولاً – المراد بالبعد العلمي والعملي للتربية لغة واصطلاحاً

١– تعريف البعد العلمي والعملي لغة:

- "البعد" تقدم تعريفه.
- "العلمي" نسبة إلى العلم، "والعين واللام والميم أصل صحيح واحد، يدل على أثر بالشيء يتميز به عن غيره" (الرازي، ١٩٧٩، ١٠٩/٤).

و"العلم نقيض الجهل، عَلِم عِلْماً، وعَلُمَ هُوَ نَفْسُه، ورَجُلٌ عالِمٌ وعَلِيمٌ مِنْ قوم عُلَماء فِيهِمَا جميعاً" (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ٤١٧/١٢).

- "العملي" نسبة إلى العمل، و"العين والميم واللام أصل واحد صحيح، وهو عام في كل فِعْلٍ يُفعَل، قال الخليل: عمل يعمل عملا، فهو عامل؛ واعتمل الرجل، إذا عمل بنفسه، قال:

(إِنّ الْكَرِيمَ وَأَبِيكَ يَعْتَمِلْ ... إِنْ لَمْ يَجِدْ يَوْمًا عَلَى مَنْ يَتّكِلْ)"(الرازي، ١٩٧٩، ١٤٥/٤).

- "التربية" تقدم تعريفها.

٢– تعريف البعد العلمي والعملي للتربية اصطلاحاً:

بعد التعرف على الجذور اللغوية للمفردات العربية الآنفة –مع استصحاب المقصد الاصطلاحي– يمكن الخروج للبعد العلمي والعملي للتربية بالتعريف التالي:

"هو المغزى الشرعي النظري والتطبيقي المراد التحلي به، والازدياد منه تدريجيا"

توضيح التعريف:

سبق القول: "هو المغزى الشرعي" أي: المراد والغاية المشروعة لدينا التي ينبغي أن تؤول إليها العملية التربوية بشقيها النظري والتطبيقي.

والقول: "النظري والتطبيقي" أي: ما يتعلق منها بالتنظير والدراسة، وما يتعلق منها بالجانب الفِعْلي الميداني، والذي هو ثمرة للتنظير.

والقول: "المراد التحلي به، والازدياد منه" أي: لا بد أن تكون العملية التربوية أخلاقاً وقيما يتصف بها المتربي، ويزداد منها.

والقول: "تدريجياً" أي: شئياً فشيئاً؛ لكون العملية التربوية لا يمكن أن تحصل دفعة واحدة؛ بل تتكون مع الأيام، ولا يزال المتربي في ازدياد منها حتى يتوفاه الله.

ثانياً – القراءات الدالة على البعد العلمي والعملي للتربية

يتعلق هذا المعنى بإيراد بعض الأدلة القرآنية بالقراءات المتواترة، التي ترشد لبعض الأبعاد العلمية والعملية، والتي تعد مقصداً للعملية التربوية الإسلامية، وذلك على النحو التالي:

الآية الأولى :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢ ﴾ البقرة: ١٣٢

أ – أهم القراءات الواردة في الآية:

قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر (وأوصى) بزيادة الألف، وتخفيف الصاد مفتوحة.

وقرأ الباقون وهم (ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف العاشر) (ووصّى) بغير ألف قبل الواو، وبتشديد الصاد مفتوحة (ابن الجزرى، ٢٠٠٠، ص٢٩٥).

ب – توضيح موطن الدلالة:

على كلا القراءتين نستفيد بعداً علمياً عملياً في الوقت نفسه؛ أما البعد العلمي فهو الاعتقاد بكون الحنيفية السمحة –ملة إبراهيم عليه السلام– هي الدين الحق الذي لا يرتضي الله سواه.

وأما البعد العملي فهو عملية التوصية، فقراءة الجمهور –بتشديد الصاد– فيها معنى التكثير والمبالغة، أي: أن أبينا إبراهيم عليه السلام قام بجانب تطبيقي عملي من دعوته،

وهو عملية توصية بنيه بالتزام الإسلام، والثبات عليه حتى الممات، وأكثر عليهم في ذلك، من باب الحرص عليهم، وكذلك فعل يعقوب عليه السلام مع بنيه من بعده.

وهذا جانب تربوي تطبيقي مشرق، يقومان به في آخر حياتهما كدرس عملي وتربوي يستفيد منه أبناؤهما من بعدها، وكذا تستفيد منه الأمة بعدهم.

وأما على القراءة الأولى وهي قراءة نافع وابن عامر وأبي جعفر –بإثبات الألف وتخفيف الصاد– فهي على ما كان في مصاحف المدينة والشام، ولأنها عندهم تكون للقليل والكثير أيضاً، بخلاف قراءة الجمهور التي لا تكون إلا للكثير، وقيل: هما لغتان بمعنى واحد، وهذه القراءة أيضاً فيها معنى علمي عملي أيضاً، كالتي قبلها.

والضمير في (بها) وردت فيه ستة أقوال، والصواب –كما قرره القرطبي–: أنه يعود على أقرب مذكور قبله، وهي الملة، أي:{أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعالَمِينَ}، في الآية التي قبلها (القرطبي، ١٩٦٤، ١٤٥/٢) (أبو العباس، ١٩٨٦، ٢٦٤/٢) (ابن زنجلة، ١٩٨٢، ص١١٥).

الآية الثانية:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ ﴾ طه: ٧٧

أ – أهم القراءات في الآية:

قرأ الإمام حمزة: (لاتخفْ) بجزم الكلمة، أي: بإسكان الفاء، وحذف الألف قبلها.

وقرأ الباقون وهم (نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، والكسائي، وأبو جعفر، ويعقوب، وخلف العاشر) بإثبات الألف قبل الفاء ورفع الفاء (ابن الجزري، ٢٠٠٠، ص٤٦١).

ب – توضيح موطن الدلالة:

في قراءة الجمهور –برفع الفاء– يخبر الله سبحانه وتعالى عن نبيه موسى عليه السلام، أنه ليس يخاف إدراك فرعون له ولا يخشى أيضاً الغرق (ابن زنجلة، ١٩٨٢، ص ص ٤٥٨–٤٥٩) (القرطبي، ١٩٦٤، ٢٢٨/١١)؛ فتكون (لا) نافية بمعنى (ليس).

وهذا فيه بعد تربوي تطبيقي مهم؛ فالله سبحانه وتعالى قد أمر نبيه موسى – عليه السلام– بأن يضرب بعصاه البحر الخضم، ثم يخبر سبحانه وتعالى بأن نبيه –عليه السلام– بعد بذله للسبب المشروع ليس يخاف من إدراك فرعون ولن يخش الغرق حينئذ؛ لما علمه سبحانه من صدق نبيه، وقوة إيمانه وثقته بربه جل في علاه.

ونستفيد من هذا ناحية تطبيقية مهمة، وهي أن المربي ينبغي أن يرشد من يربيه إلى بذل السبب المشروع المناسب لكل قضية بعينها، ثم يردفه بالإخبار بثمار بذله للسبب المعتبر؛ رفعاً لمعنويته، وتقوية لعزيمته.

وأما على قراءة حمزة –رحمه الله– بحذف الألف وإسكان الفاء، فهي على اعتبار (لا) ناهية، تجزم الكلمة بعدها؛ فتكون جملة إنشائية (ابن خالوية، ١٤٠١ هـ، ص٢٤٥) (ابن زنجلة، ١٩٨٢، ص ص ٤٥٨–٤٥٩).

أي: أن الله نهى نبيه موسى – عليه السلام– عن الخوف من الدرك، أو الخشية من الغرق؛ لكونه قد بذل سبباً شرعياً من شأنه أن يكون منجياً له بأمر الله؛ فليس هناك إذاً ما يدعو للخوف أو القلق والحالة هذه.

والبعد العملي التربوي الذي نستفيده من هذه القراءة: أنه ينبغي للمربي أن يفند مخاوف من يربيه، وينهه عن الاسترسال فيها؛ لكونها تؤثر سلباً على همته وعزيمته؛ فما دام قد بذل السبب المنطقي والمشروع فلا مجال للمخاوف ولا طريق لها إلى قلوب أولي العزم والنهى.

الآية الثالثة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ السجدة: ٢٤

أ – أهم القراءات في الآية:

قرأ حمزة والكسائي ورويس: (لِمَا صبروا) بكسر اللام وتخفيف الميم مفتوحة.

وقرأ الباقون وهم (نافع، وابن كثير، وابن عامر، وعاصم، وأبو جعفر، وروح، وخلف العاشر) بفتح اللام وتشديد الميم (لَمّا صبروا) (ابن الجزري، ٢٠٠٠، ص٥٠٩).

ب – توضيح موطن الدلالة:

يكون المعنى على قراءة حمزة والكسائي ورويس –بكسر اللام وتخفيف الميم–: جعلناهم أئمة لصبرهم؛ فيكون الصبر سبباً لإمامتهم وتصدرهم، وذلك لكون (ما) مع صلتها بمعنى المصدر، واختار هذه القراءة أبو عبيد –رحمه الله– لأنها أيدتها قراءة ابن مسعود (بما صبروا) (القرطبي، ١٩٦٤، ١٠٩/١٤) (ابن خالوية، ١٤٠١هـ، ص٢٨٨).

ونستفيد من هذه القراءة معنى تربويا عملياً نفيساً، وهو أن الصبر طريق القيادة والتصدر والتميز؛ فينبغي على المربي أن يرسخ مفهوم الصبر في نفوس من يربيهم، ويعودهم عليه، وألا يجعل الصدارة والقيادة إلا للصابرين المصابرين المرابطين.

ويكون المعنى على قراءة الجمهور –بفتح اللام وتشديد الميم– على المجازاة، "فالمعنى معنى حكاية المجازاة، لما صبروا جعلناهم أئمة، وأصل الجزاء في هذا كأنه قال: إن صبرتم جعلناكم أئمة؛ فلما صبروا جُعِلوا أئمة" (ابن زنجلة، ١٩٨٢، ص٥٦٩).

والمعنى التربوي العملي المستفاد من هذه القراءة: أن الصابرين تنبغي مجازاتهم في الأولى قبل الأخرى، وذلك بأن يكون جزاؤهم أن يأخذوازمام القيادة في مجال اختصاصهم؛ فهم أولى من البطالين، الذين لا يكلفون أنفسهم أدنى مشقة في عملهم أو دراستهم، والأمر كما قال أبو الطيب:

"لَوْلَا المَشَقَّةُ سَادَ كُلُّهُمُ... الجودُ يُفْقِرُ والإقْدَامُ قَتّالُ

وإنما يَبْلُغُ الإنْسَانُ طَاقَتَهُ... ما كُلُّ مَاشِيَةٍ بالرّجْلِ شِمْلَالُ[1]"

[1] معنى البيت الثاني: "إنما يبلغ المرء فيما يقصده مقدار طاقته، ويدرك ما يحاوله على حسب استطاعته، فليس كل كريم يحوز غاية الكرم، ولا كل شريف يبلغ نهاية الشرف، كما أن كل ماشية من النوق برجلها شملال سريعة" (أبو القاسم، ١٩٩٢، ١٨١/١).

فهذه القراءة – أي: قراءة الجمهور– تجعل القيادة والإمامة جزاء الصابرين لصبرهم، والقراءة الأولى تجعل الصبر سبباً للظفربالقيادة والإمامة.

ويتضح هنا جانب التربية الثقافية والعلمية في البعد الإنساني في قوله تعالى "إِلْفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ" [قريش: ٢] فأهل مكة اكتسبوا رحلتي الشتاء والصيف في ترابطهم الاجتماعي وتوادهم، لذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يذكرهم بقرابته منهم، وازدادت مكتة تعظيما وتشريفا لاستقطاب الحجيج والمعتمرين والوافدين لبيت الله الحرام، أكثر مما سبق، فكانت الحجاز ملتقى العلماء والكتاب والمؤرخين والشعراء ومنارة لطلاب العلم، فتميزت بنشاطها العلمي والثقافي والحضاري، ويعتبر حرمها الشريف المدرسة والجامعة التى تخرج منها العديد من العلماء الذين أخذوا علومهم منذ بداية العصر الإسلامي على كبار الصحابة والتابعين (باجابر، ٢٠٢٠، ص٧٤٣).

اختلفت القرّاء في قراءة (لإيلافِ قُرَيْشٍ * إِيلافِهِمْ (فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار بياء بعد همز لإيلاف وإيلافهم، سوى أبي جعفر، فإنه وافق غيره في قوله (لإيلافِ) فقرأه بياء بعد همزة، واختلف عنه في قوله إِيلافِهِمْ (فروي عنه أنه كان يقرؤه: إِلْفِهِمْ) " (تفسير الطبري، ص٦٠٢) (على أنه مصدر من ألف يألف إلفا، بغير ياء. وحكى بعضهم عنه أنه كان يقرؤه: " إِلافِهِمْ "بغير ياء مقصورة الألف .والأشهر في القراءات الثلاث المتواترة من قرأه (لإيلافِ قُرَيْشٍ * إِيلافِهِمْ) بإثبات الياء فيهما بعد الهمزة، من آلفت الشيء أُولفه إيلافا، لإجماع الحجة من القرّاء عليه (تفسير الطبري، ص٦٠٢).

المحور الثالث: البعد الأخلاقي السلوكي للتربية من القراءات:

تهذيب النفوس وتزكيتها من أدرانها وطباعها الفاسدة، أحد المقاصد الرئيسة الثلاثة التي بعث النبي صلى الله عليه وسلم لأجلها، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٦٤

قال الشيخ السعدي في تفسيرها: "{ويزكيهم} من الشرك، والمعاصي، والرذائل، وسائر مساوئ الأخلاق" (السعدي، ٢٠٠٠، ص١٥٥).

وفي الحديث المرفوع: (ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب حسنا لخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة) (الترمذي، ١٩٩٨، ٤٣١/٣) (الألباني، د.ت. ٥٣٥/٢).

وسمو الأخلاق هو بُعد عملي للتربية في الإسلام، وإنما أفردناه هنا ولم ندخله في الفصل الذي قبله؛ لأهميته، ولكونه أجلى صورة عملية يتضح من خلالها سمو الأخلاق ورفعتها، أو خستها وانحطاطها، وكلا الحالتين تعكسان نوعية العملية التربوية التي تعرض لها صاحبها.

هذا؛ وقد انبهر بعض أبناء المسلمين اليوم بثقافة الغرب لما رأوا بعض أفراده تكسوهم بعض المعاملات الطيبة، والأخلاق الراقية، ففتنوا بما لديهم من المبادئ والأفكار الفاسدة؛ ظنا منهم أن تلك الأفكار المحدثة هي التي ولدت فيهم تلك المعاملات والأخلاق الطيبة.

وجهلوا أو تجاهلوا أن كل الأخلاق والمعاملات المرضية والراقية قد حضنا عليها الإسلام وأوصانا بها، وأضدادها من مساوئ الأخلاق قد حذرنا منها الإسلام أيما تحذير، ورتب عليها الوعيد الشديد!

فمحمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين، أتي بدين الحق الذي أرسل الله به الرسل من قبله، منذ خلق الله آدم عليه السلام وأوجب عليه وعلى ذريته هذا الدين وعبادته وحده لا شريك له، قال تعالى "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنّ وَالْإِنسَ إِلّا لِيَعْبُدُونِ" [الذاريات: ٥٦]، فجميع الخلق مأمورين بالدخول في دين الله وهو الإسلام فقال الله لإبراهيم أسلم قال أسلمت، كما جاء في قوله تعالى "إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ" [البقرة: ١٣١]، وربى إبراهيم عليه السلام أبناءه على عقيدة التوحيد وأوصاهم بالتمسك بدين الإسلام حتى مماتهم.

وفيما يلي طرفاً من الآيات القرآنية بقراءتها المتواترة والتي تحضنا على محاسن الأخلاق والسلوك، وتحذرنا من أضدادها.

أولاً – المراد بالبعد الأخلاقي السلوكي للتربية لغتًا واصطلاحًا:

١– تعريف البعد الأخلاقي السلوكي للتربية لغة:

- "البعد" تقدم تعريفه.
- "الأخلاقي" نسبة إلى الأخلاق، وهي جمع خُلُق، و"الخُلُق–بضم اللام وسكونها: وهو الدين والطبع والسجية، وحقيقته: أنه لصورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه وأوصافه او معانيها المختصة بها، بمنزلة الخلْق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة" (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ٨٦/١٠).
- "السلوكي" نسبة إلى السلوك، وأصله (سلَكَ) و"السين واللام والكاف أصل يدل على نفوذ شيء في شيء، يقال: سلكت الطريق أسلكه، وسلكت الشيء في الشيء: أنفذته" (الرازي، ١٩٧٩، ٩٧/٣).
- "للتربية" تقدم تعريفها.

٢– تعريف البعد الأخلاقي السلوكي للتربية اصطلاحاً:

بعد معرفة الأصل اللغوي لـــ "البعد الأخلاقي السلوكي للتربية" يمكن الخروج له بالتعريف التالي:

"هو المقصد الذي يراد التحلي به، والتخلي عن ضده، شيئاً فشيئاً"

٣ – توضيح التعريف:

قولنا: "هو المقصد" أي: جنس الغاية غير القريبة، التي يراد الوصول إليها من خلال العملية التربوية.

وقولنا: "الذي يراد التحلي به، والتخلي عن ضده" أي: الاتصاف به، والتجرد من ضده، فهي تنقية للنفس عن طباعها وأخلاقها السلبية المذمومة، وتزيينها بالصفات الإيجابية المحمودة.

وقولنا: "شيئاً فشيئاً" إشارة إلى التدرج المعهود في المفاهيم التربوية.

ثانياً – القراءات الدالة على البعد الأخلاقي السلوكي للتربية

نورد في هذا المبحث ثلاث آيات بقراءاتها المتواترة؛ لندلل بها على البعد الأخلاقي السلوكي للعملية التربوية الإسلامية، وذلك على النحو التالي:

الآية الأولى:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ البقرة: ٨٣

أ – أهم القراءات في الآية:

قرأ حمزة والكسائي ويعقوب وخلف (وقولوا للناس حسَنَا) بفتح الحاء والسين.

أي: كلموهم طيبا، ولينوا لهم جانبا، ويدخل في ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمعروف، كما قال الحسن البصري في قوله) : وقولوا للناس حسنا (فالحسن من القول: يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويحلم، ويعفو، ويصفح، ويقول للناس حسنا كما قال الله، وهو كل خلق حسن رضيه الله (تفسير ابن كثير لسورة البقرة، الاية ٨٣).

وقرأها الباقون وهم (نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم وأبو جعفر) بضم الحاء وإسكان السين (حُسْنَاً) (ابن الجزري، ٢٠٠٠، ص٢٩٠).

ب – توضيح موطن الدلالة:

الحجة للقراءة الأولى –بفتح الحاء والسين– أنه أقام الصفة مقام الموصوف، ويكون المعنى: قولوا للناس قولاً حسناً؛ فهذا وصف للقول الذي حذف اكتفاء بوصفه، وهذا أسلوب سائغ في القرآن الكريم، قال تعالى: {أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ} [سبأ: ١١]، فلم يذكر الدروع اكتفها بنعتها (ابن زنجلة، ١٩٨٢، ص١٠٣) (الفارسي، ١٩٩٣، ص٨٤).

ونستفيد من هذا بعداً تربوياً أخلاقياً مهما، وهو أن تكون أقولنا ذات حُسن مع الناس كافة، على اختلاف مشاربهم، وأفكارهم، وعقائدهم.

وأما القراءة الأخرى –بضم الحاء وإسكان السين– فهي على أنها مصدر، ولأن (الحُسْن) لا يتبعض بخلاف (الحَسَن) فإنه يتبعض، وما يجمع أولى مما يتبعض، فيكون الأمر بقول الحُسْن في الأشياء كافة.

وعلى هذه القراءة فكأنه تم وصف القول نفسه بالحُسْن مبالغة فيما ينبغي أن يكون عليه (أبو العباس، ١٩٨٦، ٤٦٦/١) (ابن زنجلة، ١٩٨٢، ص١٠٣).

وهذا أيضاً يُعدّ تربويٌ أخلاقي نبيل، وهو يقضي بأهمية أن تكون أقوال المسلم متصفة بالحسن في الحالات كلها.

الآية الثانية:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾ الإسراء: ٣٣

أ – أهم القراءات الواردة في الآية:

قرأ حمزة والكسائي وخلف: (فلا تُسرف) بالتاء.

وقرأ الباقون وهم (نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وأبو جعفر، ويعقوب) بالياء (فلا يُسرف) (ابن الجزري، ٢٠٠٠، ص٤٣٧).

ب – توضيح موطن الدلالة:

في كلتا القراءتين بعد أخلاقي تربوي راق، وهو النهي عن الإسراف في القتل، والاكتفاء بالقصاص الشرعي فحسب، والتغلب على شهوة الانتقام غير المنضبطة.

فعلى القراءة الأولى وهي قراءة حمزة ومن معه بالتاء، يكون المعنى:

لا تسرف أيها الولي في القتل، فتقتل من لا يحل لك قتله، أو لا تسرف على نفسك أيها الإنسان فتقتل من لا يحل لك قتله، وقيل: إن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وللأئمة من بعده، أي: لا تقتلوا بالمقتول ظلماً غير قاتله، وحجتهم قراءة عبد الله –من الشواذ– (فلا تسرفوا في القتل) (ابن زنجلة، ١٩٨٢، ص٤٠٢) (الفارسي، ١٩٩٣، ص١٠٠).

وكذلك الفاعل على القراءة الأخرى لا يخلو من أن يكون هو ولي القتيل، وهو الأقرب؛ لكونه قد سبق له ذكر في الآية قبل، وعود الضمير على أقرب مذكور أولى.

وقيل: الفاعل هو القاتل الأول؛ أي: فلا يسرف القاتل في القتل، "وجاز أن يضمر، وإن لم يجر له ذكر، لأن الحال يدل عليه" (الفارسي، ١٩٩٣، ٥/٩٩).

الآية الثالثة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ۝١٤ ﴾ البلد: ١٣ - ١٤

أ – القراءات الواردة في الآية:

قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي: (فكّ) بفتح الكاف (رقبةً) بالنصب، (أوْ أَطعمَ) بفتح الهمزة وحذف الألف بعد العين وفتح الميم من غير تنوين.

وقرأ الباقون وهم (نافع، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، وأبو جعفر، ويعقوب، وخلف العاشر) برفع الكاف (فكٌ) وخفض التاء المربوطة من (رقبةٍ) وكسر الهمزة، وألف بعد العين، ورفع الميم مع التنوين (إطعامٌ) (ابن الجزري، ٢٠٠٠، ص٦١٣).

ب – توضيح موطن الدلالة:

على القراءة الأولى –قراءة ابن كثير ومن معه– يكون (فكّ) فعل ماضٍ، وهو بدل من (اقتحم) وبيان له، و(ورقبةً) مفعول، و(أطعمَ) فعل ماض، معطوفة على (فك) فكأنه قال: فلا فك رقبةً، ولا أطعمَ في يوم ذي مسغبة! و(المسغبة) الجوع مع التعب (أبوالعباس، ١٩٨٦، ١١/١٠).

وعلى القراءة الأخرى وهي قراءة الجمهور (فكٌ) خبر مبتدأ محذوف، أي: هو فكٌ رقبة أو إطعامٌ في يوم ذي مسغبة.

"وفي الكلامِ حَذْفُ مضافٍ دلّ عليه «فلا اقتحمَ» تقديرُه: وما أدراك ما اقتحامُ العقبة؟ فالتقدير: اقتحامُ العقبة فكُّ رَقَبَةٍ أو إطعامٌ، وإنما احْتيج إلى تقديرِ هذا المضافِ ليتطابقَ المفسِّر والمفسّر.

ألا ترى أنّ المفسِّر – بكسرِ السين – مصدرٌ، والمفسّر – بفتحِ السينِ – وهو العقبةُ غيرُ مصدر؟ فلو لم نُقَدِّرْ مضافاً لكان المصدرُ وهو «فَكٌّ» مُفَسِّرِ اللعين، وهو العقبةُ! (أبو العباس، ١٩٨٦، ١١/٩)".

وعلى كلا القراءتين فهناك بعدٌ تربوي أخلاقي سلوكي مهم، وهوالحض على فك الرقاب وتحريرها، وإطعام الجائعين واليتامى والفقراء وكفايتهم، وهذا من أعظم الأخلاق التي دعا إليها الإسلام وحضنا عليها.

المحور الرابع: الثمرات التربوية من القراءات القرآنية:

أولاً- المراد بالثمرات التربوية من القراءات القرآنية:

القراءات القرآنية مليئة بالأحكام والفوائد والثمرات والدرر، وقد غفل عنها كثير من الخاصة، حتى كنتَ تمر بأقطار كبيرة من بلاد المسلمين لا تجد فيها عالماً بالقراءات مجازاً فيها؛ فأحدث ذلك غموض وصعوبة في استخراج الثمرات والفوائد من القراءات القرآنية المتواترة، فضلاً عن غيرها.

ثم شاء الله سبحانه وتعالى أن يشهد علم القراءات نهضة جديدة في هذه العقود المتأخرة؛ فبدأت الجامعات والكليات تفتتح أقسام القراءات، وبدأت تتشكل جمعيات ومراكز ومؤسسات في مختلف بلدان المسلمين تُعنى بتدريس القراءات القرآنية وإذاعتها وتذليل السبيل إليها.

ومما يبين منزلة علم القراءات وأهميته وفضله إبراز بعض الفوائد والأحكام والدرر التي تستقى من معينه، وتُتناول من بحره، وهذا بالضبط ما سنفعله خلال هذا الفصل بعون الله سبحانه وتعالى.

و(الثمرات) جمع ثمرة، و"الثاء والميم والراء أصل واحد، وهو شيء يتولد عن شيء متجمعا، ثم يحمل عليه غيره استعارة، فالثمر معروف، يقال: ثمرة وثمر وثمار وثمر، والشجر الثامر: الذي بلغ أوانيثمر. والمثمر: الذي فيه الثمر، وثمّرَ الرجلُ ماله أحسن القيام عليه" (ابن فارس، د.ت.، ٣٨٨/١).

ونحن نستعير اللفظ هنا للفوائد الطيبة التي نجنيها في القضايا التربوية من حقول القراءات القرآنية المتواترة. وسنبدأ أولاً بذكر الثمرة التربوية المستفادة، ثم نردفها بالقراءة أو القراءات المستفاد منها هذه الثمرة، وعلى هذا المنوال نمضي، ومن الله وحده نستمد العون.

ثانياً- أهم الثمرات التربوية من القراءات القرآنية:

١ – الثمرة الأولى: التثبت قبل اتخاذ المواقف:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ ﴾ الحجرات: ٦

قرأ حمزة والكسائي وخلف: (فتثبتوا) في الموضعين هنا وفي سورة النساء، بالتاء والثاء من التثبت.

وقرأ الباقون وهم (نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وأبو جعفر، ويعقوب) بالياء والنون من التبين (ابن الجزري، ٢٠٠٠، ص٣٤٢).

وقراءة (فتثبتوا) –بالثاء– فيها معنى التأني والتوقف حتى يتم التيقن من صحة الخبر، أما قراءة (فتبينوا) –بالنون– ففيها معنى الفحص والكشف (ابن زنجلة، ١٩٨٢، ص٢٠٩)، وهذا من أهم الثمرات التربوية القرآنية؛ لأنه تنبني عليه أمور أخرى كثيرة.

٢ – الثمرة الثانية: الحث على إطعام المساكين:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ١٨ ﴾ الفجر: ١٨

قرأ الكوفيون (عاصم وحمزة والكسائي) وأبو جعفر: (ولا تَحَاضُّونَ) بالألف. وقرأ الباقون وهم (نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، ويعقوب، وخلف العاشر) بغير ألف (تحضون)، إلا أن أبا عمرو قرأها بالياء بدل التاء (ابن الجزري، ٢٠٠٠، ص٦١٢).

فعلى القراءة الأولى (تَحَاضُّونَ) فيه معنا المفاعلة بين اثنين فأكثر، وأصلها (تتحاضون) فحذفت إحدى التاءين، والمعنى: لماذا لا يحض بعضكم بعضاً على إطعام المساكين؟! (أبو العباس، ١٩٨٦، ٧٩٠/١٠)، فهي دعوة تربوية مفتوحة للمسلمين بأن يحض بعضهم بعضاً على إطعام المساكين، وأن يجعلوه خلقاً شائعاً فاشياً في أوساطهم.

وأما القراءة الأخرى – بحذف الألف– فالمعنى: لماذا لا تحضون أنفسكم وغيرها على إطعام المساكين؟! وقد يحمل معنى (تحضون) على تأمرون (الطبري، ٢٠٠٠، ٤١٤/٢٤)، " قال محمد بن يزيد قوله: (لا يحضون) أي: لا يحض الرجل غيره، فها

هنا مفعول محذوف مستغنى عن ذكره كقوله {تأمرون بالمعروف} أي: تأمرون غيركم، وحذف المفعول ها هنا كالمجيء به إذ فهم معناه" (ابن زنجلة، ١٩٨٢، ص٧٢٣).

ونستفيد من كلا القراءتين درساً تربوياً مفاده: أطعموا المساكين، وأمروا غيركم بإطعامهم، واجعلوه خلقاً فاشياً في أوساطكم.

٣ – الثمرة الثالثة: ذم البخل والجشع في جمع المال:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ ﴾ الهمزة: ١ -٢

قرأ ابن عامر وأبو جعفر وحمزة والكسائي وخلف وروح: (جمّع مالاً) بتشديد الميم.

وقرأ الباقون وهم (نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، ورويس) بتخفيف الميم (جمَع) (ابن الجزري، ٢٠٠٠، ص٦١٨).

على القراءات الاولى –بتشديد الميم– تظهر المبالغة في التجميع؛ لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، وأيضاً هي موافقة لما بعدها (وَعَدّدَهُ) فهي مثقلة عندهم جميعاً.

وأما قراءة التخفيف فتفيد مطلق الجمع، وقد يكون قليلاً أو كثيراً، وليس الجمع بحد ذاته معيباً، وإنما المذموم الجشع لدى الجمع، والبخل والشح الذي يصاحب التجميع، وإهمال الحقوق الشرعية المترتبة عليه.

ولا يخفى أن الله سبحانه وتعالى بدأ السورة بالوعيد بـــ(ويل) وختمتها بذكر (الحطمة) والنبذ فيها، وما في ثناياً السورة ذكر بعض صفات من يستحقون هذه العقوبات، ومنها الذين يجمّعون المال ويعددونه، ويهملون حق الله فيه.

فالسورة إذاً تربي المسلم على السماحة وعدم الجشع والبخل في جمع المال، أو الانشغال به عما أوجب الله عليه، وتدعوه لإخراج حق الله سبحانه وتعالى فيه، قبل الإصابة بالوعيد الشديد الذي ختمت به السورة.

٤ – الثمرة الرابعة: القدوة والمثل الأعلى:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦ ﴾ يوسف: ٦

ونأخذ من هذه الآية القدوة والمثل الأعلى وهو الأسلوب الذي طالما ذكره القرآن الكريم وذكر به وخاصة في مجال ذكر الأنبياء ودعوتهم، ويري العلماء أن قيم المعلمين والمتعلمين تتوقف على طبيعة المثل الذي ينظرون له، وقيمه وموازينه وإن المثل الأعلى الصالح مدعاة لأن تسود صفاته بين طلابه ومحبيه، فالقدوة تقليد ومحاكاة وهي تقليد حركي وتفاعل وجداني، وارتباط قيمي، وهي محاكاة حسية، وتطابق نفسي (محمود، ٢٠١٣، ص٢٢٤).

خاتمة البحث:

بعد هذا التطواف في هذا البحث الموجز يمكن الخروج بالآتي:

١. القراءات القرآنية مليئة بالفوائد والدرر في مختلف المجالات التربوية، وإنما تريد من يخرجها من مكامنها وينشرها بين العامة.
٢. استعرض البحثُ ثلاثة أبعاد تربوية رئيسة: وهي (البعد العقدي) و(البعد العلمي العملي) و(البعد الأخلاقي السلوكي) وأوردنا من القراءات القرآنية المتواترة ما يؤيدها ويحض على الحرص على تربية الناشئة عليها.
٣. هناك العديد من الثمرات التربوية الهامة اقتصرت منها في هذه الرسالة الموجزة على ثلاث ثمرات فقط، وهي (التثبت قبل اتخاذ المواقف) و(الحث على إطعام المساكين) و(ذم البخل والجشع في جمع المال).

ويوصي البحث بما يلي:

أن يبذل المهتمون المزيد من الجهود والدراسات والأبحاث لاستخراج الفوائد والثمرات التربوية في مختلف المجالات من مكامن القراءات القرآنية، فهي ما زالت مادة خام، وغنية بالكثير من الفوائد والأحكام والدرر.

المصادر والمراجع

١. ابن الجزري: شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف. (٢٠٠٠). تحبير التيسير في القراءات العشر، عمان: دار الفرقان. ط١.
٢. ابن خالوية، الحسين بن أحمد، أبو عبد الله. (١٤٠١هـ). الحجة في القراءات السبع؛ تحقيق: عبد العال سالم مكرم. بيروت: دار الشروق. ط٤.
٣. ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة. (١٩٨٢). حجة القراءات؛ تحقيق وتعليق: سعيد الأفغاني. بيروت: مؤسسة الرسالة.
٤. ابن فارس (د.ت). مقاييس اللغة. مادة قري. (٧٨/٥).
٥. ابن منظور، محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي. (١٤١٤هـ). لسان العرب. بيروت: دار صادر. ط٣.
٦. أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي. (١٩٨٦). الدر المصون في علوم الكتاب المكنون؛ تحقيق: أحمد محمد الخراط. دمشق: دار القلم.
٧. أبو القاسم، إبراهيم بن محمد بن زكريا الزهري، من بني سعد بن أبي وقاص ابن الإفْلِيلي. (١٩٩٢م). شَرْح شِعْر المُتَنبي، السفر الثاني؛ دراسة وتحقيق: مُصْطفى عليَّان. بيوت: مؤسسة الرسالة. ط١.
٨. إسماعيل، محمد أحمد. (٢٠١٤). الأبعاد التربوية المتضمنة في الحوار من المنظور القرآني وتطبيقاتها التربوية لدى طلاب كلية التربية في بعض جامعات جمهورية مصر العربية والمملكة العربية السعودية. مجلة دراسات في التعليم الجامعي. ع٢٨.
٩. باجابر، سميرة سالم. (٢٠٢٠). الأبعاد التربوية في سورة قريش وتطبيقاتها في الواقع المعاصر مجلة كلية التربية. ع١٨٦. ج٣.
١٠. الأزدي: أبو بكر محمد بن الحسن ابن دريد. (١٩٨٧م). جمهرة اللغة. تحقيق: رمزي منير بعلبكي. بيروت: دار العلم للملايين، ط١.
١١. الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى. (١٩٩٨). سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف. بيروت: دار الغرب الإسلامي. وصححه الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الأشقودري، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٥٣٥/٢)، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط١.
١٢. البخاري، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة. (١٤٢٨هـ). صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، بيروت: دار طوق النجاة، ط١.
١٣. الرازي: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي. (١٩٩٩). مختار الصحاح، بيروت: المكتبة العصرية، والدار النموذجية، ط٥.

١٤. الرازي، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، أبو الحسين. (١٩٧٩م). معجم مقاييس اللغة؛ تحقيق: عبد السلام محمد هارون. القاهرة: دار الفكر.
١٥. الزبيدى، منير. (٢٠١٩). القراءات القرآنية وأثرها في بيان معاني آيات التربية الخلقية في سورة الحجرات. مجلة المعيار. مج٢٣، ع٤٦.
١٦. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله. (٢٠٠٠م). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. بيروت: مؤسسة الرسالة. ط١.
١٧. السيد: عاطف. (د.ت.). التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها. المؤلف.
١٨. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر. (٢٠٠٠م). جامع البيان في تأويل القرآن؛ تحقيق: أحمد محمد شاكر. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١.
١٩. الفارسي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي. (١٩٩٣م). الحجة للقراء السبعة؛ تحقيق: بدر الدين قهوجي، وبشير جويجابي. دمشق: دار المأمون للتراث. ط٢.
٢٠. الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي. (د.ت). معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، القاهرة: دار المصرية للتأليف والترجمة. ط١.
٢١. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي. (١٩٦٤). الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط٢.
٢٢. تفسير الطبرى. سورة قريش. الآية ١-٢. صفحة ويب ٦٠٢. متاح على: http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura106-aya1.html
٢٣. متن طيبة النشر في القراءات العشر. (١٩٩٤م). البيت رقم (١٤، ١٥) تحقيق: محمد تميم الزعبي. جدة: دار الهدى، ط١.
٢٤. محمود، ماجد أيوب. (٢٠١٣). المضامين التربوية المستنبطة من سورة يوسف وتطبيقاتها التربوية. مجلة الفتح، ع٥٣.
٢٥. يالجن، مقداد. (١٤١١هـ). معالم بناء نظرية التربية الإسلامية. الرياض: دار عالم الكتب.
٢٦. النجدي، فيصل عبد الرحمن. (١٩٩٦م). توفيق الرحمن في دروس القرآن، تحقيق عبد العزيزالزير. الرياض: دار العاصمة.